مجلّة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
كلية الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 260*2-7259*
ص:**132-118**

مجلد: 10 *عدد:* 1 شهر جوان سنة 2022
العنوان: أزمة الهوية في الكتب المدرسية...

أزمة الهوية في الكتب المدرسية
كتاب اللغة الفرنسية لتلاميذ السنة ثانية متوسط أنموذجا

شهيرة زرناجي[1]

[1]chahira.zernadji@univ-biskra.dz ،جامعة بسكرة (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2021/09/15؛ تاريخ اللنشر:10 /06 /2022

Identity crisis in textbooks
French language book for second year students, average, as a model

Abstract: Developed countries in the field of education, such as Singapore, Switzerland, Finland and Denmark, have attached great importance to the textbook, in which carefully selected texts were broadcast by competent specialists in the field of language planning to glorify the homeland and consolidate the nation's history, identity, affiliations, depth and rooting over the years. These noble goals and understanding this fact and relying on it to achieve its developmental, intellectual and civilized goals for the future generation capable of building and giving.

To analyze this hypothesis and decipher this fateful problem, we analyzed the texts in the textbook for the second year of the average French language.

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

Keywords: the crisis; identity; the culture; French; the language.

الملخص:

أولت الدول المتطورة في مجال التعليم كسنغفورة وسويسرا وفنلندا والدنمارك، الأهمية البالغة للكتاب المدرسي الذي بثت فيه نصوص مختارة بعناية من قبل متخصصين أكفاء في مجال التخطيط اللغوي لتمجيد الوطن وترسيخ تاريخ الأمة وهويتها وانتماءاتها وعمقها وتجذرها عبر السنين، فهل استطاعت المدرسة الجزائرية من خلال الكتب المدرسية بلوغ هذه الغايات النبيلةK وفهم هذه الحقيقة والارتكاز عليها لبلوغ أهدافها التنموية والفكرية والحضارية لجيل الغد القادر على البناء والعطاء.

ولتحليل هذه الفرضية وفك رموز هذه الإشكالية المصيرية حللنا النصوص الموجودة في الكتاب المدرسي للسنة الثانية متوسط لغة فرنسية، فكيف كانت هندسة هذه النصوص، وهل أتت أكلها في تهيئة الأجيال المتلاحقة لفهم الجذور واستقراء الأمجاد والأبطال أم أن القضية كانت حشوا وملأ فراغ من دون تخطيط أو برمجة.

الكلمات المفتاحية: الأزمة؛ الهوية؛ الثقافة؛ الفرنسية؛ اللغة.

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

مقدمة:

جاءت فكرة هذه الدراسة لفهم التغيرات النمطية وجذور أزمة الهوية من الكتاب المدرسي الذي إصلاحات عدة، فهل نجح هذا الكتاب في ترسيخ الهوية الجزائرية أم أنه كان الحاضر الغائب. فارتباطنا بالآخر وجوديا واستعماريا وثقافيا واجتماعيا لفترة طالت ولما تزل، رسخت فينا الازدواج الثقافي، والهجرة، ونشوء أجيال هجينة، خلفت خليطا ثقافيا، وأزمة انتماء، وأزمة وجود، وأزمة هوية. وهل كان منهاج تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر خادما للثقافة الجزائرية، أم أنه لا يعدو أن يكون بوقا لنقل ثقافة الغرب مجسدة في لغتهم؟ أسئلة كثيرة تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها باختيار كتاب السنة الثانية متوسط أنموذجا للبحث والتحليل.

التراث الأدبي الجزائري في المسار المدرسي:

احتل قرار تجسيد التراث الأدبي الجزائري بمختلف أنواعه وتعابيره اللسانية مكانة أكبر في المسار الدراسي للتلميذ، إلى جانب إدراج نصوص مترجمة لأدباء جزائريين، والتعليم التدريجي لمشروع القراءة الممتعة، وإنجاز مرجعية وطنية للتعلم والتقييم في مجال فهم المكتوب للغة العربية والأمازيغية واللغتين الفرنسية والإنجليزية (شعباني، 2019).

فضلا عن توظيف التراث في أدب الأطفال الذي يعني استحضار فترات محددة من التاريخ، سواء من خلال مواقف أو

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

حوادث أو شخصيات أو استلهام قصص وحكايات وقصائد وفكاهات ونوادر وأمثال من التراث الشعبي أو استغلال كتب تراثية عالمية ككتابي كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة، اللذين يحتويان على الكثير من الحكم والمواعظ، وأجواء من السحر والدهشة، والمرح والفكاهة . ثم انتقاء ما هو مناسب للطفولة، واختبار النماذج التي تستحق أن تكون مثلا للأطفال، ثم العمل على إعادة صياغتها وتحويلها إلى قصص ومسرحيات مبسطة وإلى قصائد شعر وأغان وإكسابها لونا يتناسب وروح العصر الذي يعيشه الطفل (قاسم، 2006).

ولقد كان التراث على مر العصور من أهم الينابيع التي رفدت الأدب بالعطاء المتدفق، وحققت نهضة متكاملة في تاريخ الأدب الحديث، فهو مورد خصب، ومعين، دائم التدفق بإمكانات ووسائل التأثير المختلفة، لما يحويه من فكر إنساني، وقيم فنية خالدة، ومبادئ إنسانية حية، لأن عناصر هذا التراث ومعطياته لها من المقدرة على الإيحاء لمشاعر وأحاسيس لا تنفذ وعلى التأثير في نفوس الجماهير وعواطفهم، ما ليس لأي معطيات أخرى يستغلها الشاعر، حيث تعيش هذه المعطيات التراثية في أعماق الناس، تحف بها حالة من القداسة والإكبار، لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي (ابن بسام، 1970، 70).

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

وينجذب الأطفال بشكل كبير نحو الأعمال التي تتخذ طابعا تراثيا وتبلغ فيهم مبلغ العقل والوجدان، ويمكن تبسيط المادة التراثية على شكل قصة أو قصيدة أو مسرحية أو مقالة...، وتكمن أهداف التوظيف في أن يطلع الأطفال على تراثهم، وأن يتعرفوا على الشخصيات الهامة في تاريخ أمتهم، كما يهدف إلى غرس القيم والمثل في نفوسهم، لتترسخ في أذهانهم من خلال العبرة التاريخية، فتتوسع آفاق معارفهم وينمو لديهم الخيال الخصب (قاسم، 2006).

ولنجاح عملية التوظيف من قراءة التراث وفهمه وتقديمه برؤى وعاطفة .تستطيع التأثير في المستقبل وتغييره نحو الأفضل، لا بد من صياغتها في موضوعات تناسب مدارك الأطفال وتنسجم مع مستوى نضجهم العقلي والانفعالي، واللغوي، وتناسب الحوادث المنطقية دون إغفال معطيات العصر الذي يعيشه الطفل،بأساليب مشوقة ومثيرة تحضر خيال الطفل وتستثير عواطفه، وتعمل على تعميق انتمائه الإنساني، وإلى غرس قيم جميلة من أعماقه وتنمية ذائقته الجمالية، وليكتمل عنصري الموضوعية والتشويق وتحقيقا للغايات التربوية والترفيهية ليفهم الطفل تراثه ويطلع على الفترات المشرقة من ماضي أسلافه (قاسم، 2006).

التعريف بالكتاب المدروس:

هو كتاب اللغة الفرنسية لتلاميذ السنة الثانية متوسط، تميز بتنوع الفنون التحريرية فيه من مقال، وحديث، وتقرير ، وصورة

وتعليق، وكاريكاتور، وصورة. تميز بخلوه من قصص القرآن الكريم خلوا تاما. واعتمد على قصص ما قبل الطباعة حين كان الآباء ينقلونها إلى أبنائهم شفويا. فقد "كان من الصعب تتبع أثر أصل أدب الأطفال قبل اختراع الطباعة"(Marks ,2006, 201) . وحتى بعد انتشار الكتب المطبوعة الكثير من قصص الأطفال كانت مصممة للكبار وتم تحويلها لاحقا إلى كتب للأطفال"(peter ,2004, 933) .

تبنى الكتاب مفهوم المزج بين المحلية والعالمية التراث والحداثة والعصرنة، واعتمد على أدوار متكاملة للأسرة –المدرسة – الإعلام- أدب الأطفال – مؤسسات المجتمع المدني – مؤسسات الدولة المسؤولة عن التربية والثقافة والتعليم، كما حرص في معظم قصصه على تدعيم النص بالصور والرسوم المعبرة ذات الجودة العالية وبألوان معبرة عن المواقف التي تدور حولها القصة.

ملامح أزمة الهوية في كتاب اللغة الفرنسية :

يشمل الكتاب عداد كبيرا من قصص الأطفال، وقصص الأطفال أنواع عدة منها:

الحكايات–القصص التراثية، قصص الحيوان، قصص السير، قصص البطولة والمغامرة، قصص الخيال العلمي، قصص الخيال التاريخي، قصص الفكاهة القصص الدينية القصص الاجتماعية وغيرها(بن يحي، بن دحمان 2016). فهل وظف كتاب اللغة الفرنسية هذا الأنواع، أم أنه اكتفى بنوع واحد؟

إن قصص الأطفال أداة تربوية تثقيفية ناجحة فهي تثري خبرات الأطفال وتنمي مهاراتهم وتكسبهم الاتجاهات الإيجابية وهي تزودهم بالمعارف والمعلومات والحقائق عن الطبعة والحياة، وتطلعهم عن البيئات الاجتماعية، كما أنها تثري لغتهم وترقى بأساليبها، وتنمي قدراتهم التعبيرية عن الأفكار والمشاعر والاحتياجات (بدايات قرانيا، 1988، 414).

ورغم هذه الأهمية لقصص الأطفال إلا أن الملاحظ على كتاب اللغة الفرنسية –محل الدراسة- جملة من العيوب في توظيف قصة الطفل، وفيما يلي عرض مفصل لهذه الملاحظات

- عدم مراعاة قابلية التلميذ وقدرته العلمية. باحتواء الكتاب على مفردات صعبة تتعدى قدرة التلميذ على الفهم والاستيعاب أو بعيدة عن اهتمامه، وتفسد عليه متعة الاسترسال في القراءة، حيث يتوقف في كل مرة لشرح الكلمات المبهمة.

مثل: (Le rossigrol ,Colibri ,contrée, Acclamation, Ingrate Carnassers....) (الكتاب، دت، 70 وما بعدها).

- عدم وجود انسجام بين الأهداف التربوية المسطرة واختيار النصوص.

- الأخطاء اللغوية والمنهجية المتكررة: هذا الخلل طال جميع الكتب المدرسية في جميع الأطوار حتى الثانوي، حتى سماها كثير من المنشغلين بالقضية (فوضى النصوص)، مما يدل على الارتجالية

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

والتسرع في إنجاز الكتاب المدرسي، فضلا عن خلو بعض الكلمات من الشرح، مما أدى إلى عسر فهم معنى القصة.

يمكن أن نضيف إلى نقائص هذا الكتاب المدرسي عدم الالتزام بوجود اسم وعنوان الحكاية، ونحن نعرف أهمية العنوان لنصه، فهو بمثابة الرأس للجسد، يلخص مضمون الحكاية، ويجمل فحواها، يكون أكثر رسوخا في ذهن التلميذ، وأكثر قدرة على إجمال القيم التي جاءت القصة من أجلها.

الملاحظ أن أغلبية نصوص الكتاب كانت من الحكايا. قدمت للتمليذ ما تزخر به الجزائر من اختلاف في اللهجات، العادات، التقاليد، وغيرها من الاختلافات اللازمة والواجبة لجمال الصورة، فالاختلاف لا يسبب للود قضية، بل تجمعنا راية واحدة ولغة واحدة ودين واحد، وهوية وتاريخ، وانتماء ومصير مشترك.

إن القراءة الأولى لنصوص كتاب السنة الثانية متوسط لغة فرنسية تظهر نصوصا متعددة تجمع مختلف تراب الوطن من شماله إلى جنوبه، ومن عرب وأمازيغ مثقفين يكتبون باللغة الفرنسية بالإضافة إلى نصوص مترجمة من عدة ثقافات وحضارات قديمة إلى الفرنسية باعتبار الكتاب خاص باللغة الفرنسية، وكانت نصوصا متنوعة لثقافات المشرق والمغرب، الهند وفارس، اليونان والاغريق، كل هذا يؤكد حرص الجهات الوصية على خلفية أيديولوجية تسمح بالتعدد والتنوع الثقافي والانفتاح على الآخر.

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

وهناك فارق بسيط بين النسخ القديمة فيما يخص اختيار النصوص، فقد تمحورت الكتب السابقة حول روايات أشهر كتاب الجزائر المعاصرين والذين كتبوا باللغة الفرنسية كمحمد ديب في الحريق، نجمة لكاتب ياسين، الأفيون والعصى لمولود معمري، والتي تشبعت بها أجيال السبعينيات والثمانينيات والتسعينياتفي حين أن الكتب في طبعتها الجديدة ذات الطابع الإصلاحي قد خلت من تلك النصوص أو تكاد.

ولعل السبب في ذلك راجع إلى أثر التكنولوجيا السلبي على رموز الهوية في الجزائر حيث تراجع الاقبال على الأدب الجزائري إنتاجا وقراءة بسبب كثيرة منها الفضائيات والعالم الافتراضي الذي أفرز ألعابا الكترونية خدرت عقول الأطفال وسلبت تفكيرهم السليم لاعتماده على اللامنطق واللاهوية واللا أخلاق.

كانت أغلب النصوص المقدمة في الكتاب المدرسي للسنة الثانية متوسط عن الأساطير اليونانية والإغريقية والقصص الخرافية، وقد لا يتناسب هذا والمرحلة العمرية للطفل، فلا يمكن بحال إعلاء شأن الخرافة والخيال على حساب القيم والعلوم ، لأن ذلك يضعف قدرة الطفل على التعامل مع الواقع (شاكر، دت، 12).

يقول حازم العظم، إن معظم نصوص الكتاب المدرسي النموذج مترجم أو مؤلف بغير خبرة كافية، فالأدب الخاص قليل ويمر بأزمة وجود، وهذه الأزمة أتاحت لبعض الناشرين في غيبة

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

الرقابة والنقد البحث عن مجلات وكتب الأطفال الرائجة، فقدموها لأطفالنا مترجمة بالصور نفسها بغير تمحيص مع أنها تحوي قيما تربوية غير ملائمة لعقيدتنا وقيمنا الروحية، أو مرفوضة حتى في البلاد التي تصدر عنها (الكيلاني، 1411 ، 165).

ويقول عبد التواب يوسف، والأطفال لدينا اليوم ضاقوا سذاجة الكتب التي تسمى كتب الأطفال، وضاقوا ببساط الريح وسندريلا وغيرها (كراكبي 2010، 204).

إن الكتاب المدرسي الذي تم اختياره نموذجا للبحث والتحليل ينم عن أزمة هوية في المناهج الجزائرية، فكل ما فيه من نصوص غير واضحة الهوية، كثر التراث الفرنسي، فطغت ملامح الهوية والفكر الغربي على التراث الجزائري الذي من أجله وضع هذا الكتاب أصلا.

لقد تشعبت قصص الكتاب وكثر اشتمالها على أعظم الحضارات والثقافات الإنسانية، بطريقة غير ممنهجة، ساهمت في عدم فهم التلميذ المراهق معنى هذه الحكايات وسبب ورودها، والعبرة منها. في وقت يحتاج فيه التلميذ الجزائري إلى إشارة واضحة للعلاقة التي تربطه بمن حوله، لفتا لانتباهه، وتأكيدا له على هويته التي تقوى بوجوده في عالم إسمه الوطن العربي،فلماذا لم يذكر تراث العراق واليمن وتونس والمغرب والإمارات والكويت وقطر والسعودية... الذي تجهله كل الجهل ولماذا دائما نختار قصصا غريبة

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

عنا وعن قيمنا، ألا يجدر بنا فهم نفسنا عن العرب ومن ثمة فهم العالم من حولنا.

لكننا لا ننكر للكتاب جملة إجابيات جاءت بها إصلاحات الجيل الثاني، وقد تمثلت في الجمع بين التراث القبائلي الأمازيغي والبربري ضمن التراث الجزائري الوطني والقومي تأكيدا على فكرة التعايش السلمي والأمان الداخلي. ومحاولة تنشئة جيل يتعايش مع الآخر رغم الاختلافات الفكرية والأيديولوجية، من خلال أدب الجوار ، الذي يهيئ النفس البشرية لقبول الحياة بمختلف أطيافها وتوجهاتها.

توصيات

- ضرورة إشراك الأدباء والعلماء في اختيار نصوص كتاب اللغة الفرنسية سنة ثانية متوسط للوصول إلى الهدف المنشود.
- إعادة النظر في هذه النصوص من خلالها الأسس التربوية للمدرسة الجزائرية، واختيار ما يناسب واقع التلميذ الجزائري اللغوي والنفسي والاجتماعي.
- بذل المزيد من الجهد للنهوض بأدب الطفل ليكون في مستوى التحديات الداخلية والخارجية عن طريق تنظيم مسابقات أدبية وتخصيص جوائز قيمة تجعل المطابع والمكتبات تتكفل بها الدولة.

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

- ضرورة تفعيل دور المكتبات المدرسية وتكييفها مع المعايير الحديثة من أجل مواكبة التطور الحاصل في العالم لغرس حب المطالعة باللغة للنصوص الجزائرية الفرنسية وفي نفس الوقت غرس حب الانتماء والمواطنة والترجمة للغة الهوية العربية.

- لم تؤت النصوص المذكورة في الكتاب أكلها، بل بالعكس، فقد ازداد منها التلميذ نفورا لبعدها الكبير عن لغته وزمنه وأفكاره وميوله، ومعتقداته، وطموحه، وفلسفته لذا وجب إعادة النظر لهذه النصوص، وبعث الحياة فيها وتشجيع حركة الترجمة من العربية إلى الفرنسية لأهم القصص والحكايا لعالم اليوم للحياة الراهنة بكل تناقضاتها وتحدياتها، لإنشاء جيل المستقبل، جيل متمكن من لغته واللغات الحية الأخرى، لترسيخ قيم الأصالة العربية الإسلامية والجزائرية في ذهن تلميذ السنة الثانية متوسط وهذا لا يتأتى إلا لمعرفة ميوله ورغباته ليندمج مع هذه النصوص ليفهمها ويحللها وفق عقلية متفتحة على الآخر ومستوعبة لكل علومه وأفكاره ما دامت لا تتناقض وبيئته وعاداته ودينه وقيمه.

- إعادة صياغة كتاب اللغة الفرنسية لسنة ثانية متوسط ببرنامج متنوع، محين يعالج مواضيع الساعة، ويطرح تحديات العالم الجديد، وظروفه الاستثنائية، ولكن بروح جزائرية، تخدم المجتمع وأبناءه

خاتمة

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 2602-7259
ص:118-132

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى أهم النتائج الآتية

- لا يعدو كتاب اللغة الفرنسية لتلاميذ السنة الثانية متوسط أن يكون كتابا تعليمي لتنمية إمكاناته وقدراته اللغوية، وتربويا لخلق رجال قادرين على الابتكار والاكتشاف، أو ترفيهيا لبث روح السعادة والمرح في نفس التلميذ.

- رغم القيمة العلمية التي يحملها الكتاب المدروس، والاهداف التي يمكنه تحقيقه إن تعليميا أو تربويا أو ترفيهيا، إلى أنه لا يقدم في الحقيقة تصورا حقيقيا عن المجتمع الذي يتبناه، ولا يخدم ثقافته، ولا يجيب عن تساؤلات التلميذ، ولا يلبي حاجاته النفسية والاجتماعية.

- يطرح كتاب اللغة الفرنسية لتلاميذ السنة الثانية متوسط مشكل الهوية بارزا، فهو كتاب لا يني الهوية بأي شكل من الأشكال، بل بالعكس من ذلك تمام، قد يبدو لقارئه أنه موجه لأي تلميذ في العالم إلا التلميذ العربي المسلم.

- رغم مشكلات هذا الكتاب العديد والمتعددة، إلا أنه نجح في التعبير عن الثقافة الشعبية للبيئة الجزائرية، بمختلف ملامحها التي ترسمها المرآة القبائلية، أو اللمة الشعبية...

المراجع

- ابن بسام (1970) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحق: إحسان عباس، القسم 1، مج 1، بيروت: دار الثقافة.

- حمدان، عبد الرحيم استدعاء التراث الأدبي (القسم الأول) في تجربة فوزي عيسى الشعرية. ، موقع ديوان العرب، تاريخ الزيارة 2021/09/11، في الساعة: 22:35

- بن يحي، أم كلثوم والطيب، بن دحمان (2016) أدب الطفل في المقرر المدرسي الجزائري دراسة نقدية الموقع: natharatmouchrika.net، 9:34.

- قاسم، عبد المجيد (2006) إبراهيم توظيف التراث في أدب الأطفال، الموقع: diwanalarab.com

- قرانيا، محمد (1988) بدايات قصة الأطفال في سورية، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع 414.

- شاكر، سعيد محمد، الكتابة للأطفال، مجلة البيان السنة 17، ع179، ص38.

- شعباني، نبيل (2019)، ورود التراث الأدبي الجزائري في الكتب المدرسية ليس مجرد كلام الموقع: mihwar.com، تاريخ الزيارة: 2021/09/10، في الساعة: 22:30.

- كراكبي، محمد، (2010) نشاط القراءة في التعليم الأساسي الجزائري، مجلة الدراسات اللغوية، الجزائر: جامعة قسنطينة، ع6.

- الكتاب المدرسي لغة فرنسية، لتلاميذ السنة الثانية متوسط، وزارة التربية الوطنية.

- نجيب،الكيلاني (1411ه) أدب الطفل في الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- نعمان، هادي (1988) ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 123 .

-Marks, Diana F, (2006) children's rook, Award Handbook westport, conn, libraries unlimited.

-Peter Hunt (2004) international companion encyclopedia of children's .

مجلّة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية
كلية الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

ISSN: 1112-8658
E-ISSN: 260*2-7259*
ص:132-118

مجلد: 10 *عدد:* 1 شهر جوان سنة 2022
العنوان: أزمة الهوية في الكتب المدرسية...

للإحالة على هذا المقال:

. شهيرة زرناجي، (2021)، «أزمة الهوية في الكتب المدرسية- كتاب الفرنسية لتلاميذ السنة الثانية متوسط أنموذجا» . **قراءات** ، المجلد: ، العدد: الشهر السنة، ص.ص.